

أربعينية الإمام الحسين عليه السلام نهج تربوي

أ.م. د حيدر علي حسن
كلية الاداب - الجامعة المستنصرية
hayderali@gmail.com772

تسعى المجتمعات البشرية الى استثمار طاقات الشباب وتفعيل دورهم في تحقيق الأمن المجتمعي، من خلال تربيتهم وانشائهم على المبادئ والقيم الأخلاقية السامية؛ للإسهام في مكافحة المشاكل والتحديات التي تنتج عن تراجع القيم وقلة الالتزام بالمبادئ الأخلاقية، وشيوع السلوكيات السلبية كالكذب والنفاق والجريمة وغيرها.. من مهددات الأمن المجتمعي، مما يتطلب استلهام القيم السامية من مواقف وثورات الأنبياء والعظماء والصالحين؛ لما يمثلوه من مدرسة تربوية أخلاقية تسهم في بناء المجتمع الصالح، ان نهضة الحسين (عليه السلام) ذات وجوه عديدة، ولها عدة جوانب وأبعاد، ومن وجوه هذه النهضة وثمراتها تلك الزيارة العظيمة التي ما انفكت تتعاضم وتكبر في عيون الشامتين قبل العاشقين، ومن الممكن جداً اعتبار تلك الزيارة عنصراً تبليغياً، فهي رسالة واضحة الى العالم، وطريق لإيصال رسالة الإسلام في العصر الحديث، حيث تحمل آلاف الرسائل والدعوات الموجهة الى آلاف المراكز والنواحي، ففي زمان التكنولوجيا والثورات الإعلامية المتواصلة، بدت مشاهد الزيارة الأربعينية متألثة في التلفزيونات والقنوات العالمية، التي نقلت مشاهد مؤثرة تضع المشاهد من جميع أطراف المجتمع أمام تساؤل كبير، فما الذي يجعل هذه الجموع المليونية تزحف بهذا الإصرار نحو قبلة الأحرار والثائرين، وما هنا عندما تكون الذكرى عظيمة بأهدافها السامية، يكون أثرها في العمق النفسي متناسباً مع عظمتها.. وكلما تتكرر يتجسد حدثها وكأنه ولد من جديد، لأن رافدها الحق، ورحمها الحقيقة ولأن الهالة التي تحيط بعظمتها دائمة التوهج، لا تنقطع عن بثّ سناها، وفي مثل هكذا ذكر من المؤكد أن الوجدان الأصيل يحتوي صداها بشغف، لأنه مدين لها بالإيقاظ والاستنهاض.. ويتفاعل مع شعائرها، لأنها أشبعته بروافد الحرية ونسائم الكرامة.. وكيف لا يهتز وينحني لقدسيته وقد

زرع وغرس عظمتها سيد شباب أهل الجنة في يوم دام، شهد فيه التاريخ نهضة فاعلة وميدانية ضد الباطل، لإيقاظ ضمائر الناس وتحريك مشاعرهم وأحاسيسهم. ولا شك في أن تحريك تلك الضمائر شبه الميتة، والعمل من أجل إعلاء كلمة الحق وردم بؤر الباطل يحتاج إلى فدية ضخمة وكان عليه السلام يعلم أنه الوحيد الذي يملك أن يتقدم لتحقيق ذلك لأن الحقيقة تقول: (من كان أكثر وعياً كان أكثر مسؤولية)، ولعل تجربة الثورة الحسينية رسمت أروع الصور في تثبيت القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية المتكاملة والإيمان والتضحية والعطاء في سبيل الله، وتجسدت فيها مواقف إنسانية لمختلف فئات المجتمع، وما أحوجنا اليوم الى استحضار تلك المفاهيم وأهمها رفض الظلم وطلب الإصلاح والتضحية والصبر والشجاعة، من هنا لا بد ان نستثمر مناسبة أربعينية الإمام الحسين لاستذكار القيم والمبادئ التي خرج من اجلها الحسين عليه السلام ونؤكد للعالم بأن الثورة لم تنته بمجرد استشهادها وإنما استمرت ليومنا هذا وتتجدد كل حين فهي خالدة بما أنتجت من المفاهيم الإنسانية والإسلامية حيث استطاع الإمام الحسين عليه السلام من خلال نهضته ان يسطر أروع البطولات في التضحية والصبر من اجل إصلاح الدين والوقوف بوجه الطغاة ونصرة الحق، ان الثورة الحسينية هي مشروع انساني متكامل لا يختص بدين او فئة او مذهب او قومية كما يحاول البعض ان يصوره، بل هو مشروع إصلاحي وثورة انسانية حملت الكثير من القيم والمبادئ والمفاهيم اهمها رفض الظلم والتضحية في سبيل الحق والصبر والصمود حتى تحقيق النصر وهذه هي اسرار خلود الثورة الحسينية.

كلمات مفاتيح: الفعل الاجتماعي، الاربعية، رحلة الشتاء والصيف

The Arbaeen of Imam Hussein (peace be upon him) is an educational approach

Dr. Hayder Ali Hassan

Al-Mustansiriya University-College of Arts

Abstract

Human societies seeking to invest energies of young people and activate their role in achieving societal security, through their upbringing and they constructed on the principles and moral values Semitism; to contribute to the fight against the problems and challenges that result from declining values and a lack of commitment to ethical principles, and the prevalence of negative behaviors, such as lying and hypocrisy, crime and other .. from threats societal security, which requires inspired by the noble values of the positions and the revolutions of the prophets and the great and the good; what its representatives from the educational ethical School contribute to building good society, the Renaissance Hussein (AS) with many faces, and it has several aspects and dimensions, and the faces of this renaissance and Tmradtha those great visit that have been growing and growing up in the eyes of moles by lovers, and could very well be considered the visit element Thblegeya, it is a clear message to the world, and the way to deliver the message of Islam in the modern era, where carrying thousands of letters and invitations to thousands of centers and areas, in the time of technology and media revolutions continuous, scenes forties visit looked

sparkling in televisions and global channels, which quoted an influential scenes take the viewer from all spectrums of society are facing a big question, what makes these multitudes millions creeps that insist about the kiss and Liberal rebels, and now here when the great anniversary objectives Semitism, be its impact on the psychological depth commensurate with the greatness .. whenever repeated embodied her event like a kid again, because Ravedha right, and her womb truth, because the aura that surrounds the permanent glow greatness, not interrupted for the broadcast Snaha. In such a mention of Alma CKD that conscience inherent contain resonate eagerly, because he owes her Balaiqaz and mobilization .. and interacts with the rituals, because they Ohbath streams freedom and breezes dignity .. and how it does not vibrate and bend to its sanctity has been planting and cultivate greatness master of the youth of Paradise on da m , it witnessed the history and renaissance of effective field against falsehood, to awaken the consciences of people and move the feelings and emotions. There is no doubt that moving.

Keywords: social action, Arbaeen, winter and summer journey

المقدمة

ان الثورات العظيمة لا بُدَّ لها من نائر عظيم تنطبع الثورة بمنهجه وتسير وفق ما يخطط له وما يريد ويعتمد وهج تلك الثورة وخلودها على مقدار التضحية، والتغيير الذي تقوم به في المجتمع، وقد كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام كذلك، فهي قد أخذت موقعها من نفوس الجمهور على اختلاف طبقاتهم، وتجدّرت في أعماقهم، بحيث يهتمون بإحيائها بأنفسهم، ويندفعون لذلك بطبعهم وكأنها جزء من كيانهم، لأجل ذلك نرى ثورة الحسين عليه السلام عظيمة وعظيمة جدا وفق كل المقاييس الدنيوية منها والدينية، ولا غرو في ذلك فان الإمام الحسين عليه السلام هو قائد تلك الثورة ومُفجّرُها والممهد لها، ومن الطبيعي أن هكذا شخصية لا بد ان تكون ثورته خارجة عن كل المقاييس. وقد كثر الحديث عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام التي انتهت بفاجعة الطف، عرضا وتقييما، وتفجعا وافتخارا، وغير ذلك. ومثل تلك الثورة المباركة لا بد وان يكون لها وهجها الذي يتدفق عبر الليالي والأيام، ولا بد لهكذا ثورة من مراسيم خاصة لاستذكارها وإحيائها والتفاعل معها والتزوّد من عطاياتها، ومن تلك المراسيم المهمة زيارة الأربعين المباركة التي حرص الأئمة والأصحاب على إحيائها والتبرك بألقها المبارك، وأخذوا يحثون الموالين من شيعتهم على إحيائها ونيل ثوابها العظيم، وهذه الزيارة مضامين عالية ومعانٍ كبيرة لا تكاد تنتهي على مدى السنين والدهور. ومناسبة الأربعين واحدة من دلالات تلك الثورة المباركة، فاستذكار الإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة في زيارة الأربعين تجديد للدين وخط أهل البيت عليهم السلام وفيها من المضامين الإنسانية والاجتماعية والتربوية الشيء الكثير، وهذا ما نحاول إلقاء الضوء عليه في هذا البحث، سنورد مدارك تلك الزيارة ومستنداتها، والرضا والقاسم المشترك في زيارة الأربعين وبيّنت مقدار فضل من قام

بها، ثم نبين دور زيارة الأربعين تبليغ في مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) ثم نخرج على الفعل الاجتماعي والتربوي لزيارة الأربعين، لنختم هذا البحث بأهداف استحباب زيارة الامام الحسين (عليه السلام) ماشياً، مع خاتمة تبين ما استفدناه من هذا البحث، مستعينا في كل ذلك بالمراجع والمصادر الموثوقة والكتب التي تناولت قضية الإمام الحسين (عليه السلام).

المبحث الأول الزيارة الاربعينية رحلة الشتاء والصيف

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَرِشٌ إِيلَافٍ قَرِشٌ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش، ١-٤)، ان زيارة الامام الحسين (عليه السلام) في الاربعينية هي مهرجان الهي تعبوي يتم نوع من دخول البشر في النور ومن ثم رفعه معدن الذات والطينة الانسانية فبدل ان تكون خسيصة دنيئة اسيرة للشهوات او للغرائز او للعنصرية او حب البقاء تكون محلقة الى المعالي وتكون فانية في الحسين (عليه السلام) فزيارة الشعبانية والاربعينية هما الرحلتين رحلة الشتاء والصيف وهما الزيارتين مقررتان بشد الرحال الى ابي الاحرار في كل سنة واحدة في الشتاء والاخرى في الصيف وهي التي لا تبور، يقول الحق تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩)، الهدف من الزيارة عبادة رب البيت (رب الحسين) لأن الحسين (عليه السلام) بل محمد وال محمد هم الطريق الواقعي لله وحتى تعبير اهله في البيت انما هي اهل بيت الله وهم محمد وال محمد وليس الساكن فيه هم الذين فيهم الامان والآيات والبينات للناس، امان الامان، الاول محمد كيف نعدبهم وانت فيهم والثاني هم اهل بيته كيف نعدبهم وهم يستغفرون، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ (الانفال : ٣٣)، بمعنى
تائبون تابعون لمنهج الحق اما المكاسب في هذه الرحلتين هو امرين:

الاول: الاطعام من الجوع وهو الجانب الاقتصادي فالشيعي بالرغم من حصار
الطغاة له وهو غني بعقيدته وغني بعمله لأن هو يأكل مأكلاً محمد وال محمد ويشرب
مشربهم وينكح منكحهم وهذا هو الغنى الواقعي لأن ما عند الله باقي وما عندنا
ينفد، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، (النحل: ٩٦)، بينما الدول والجماعات التي ليس على نهج محمد وال
محمد جاعوا وخافوا لأنهم ليس لديهم ثوابت فثابتهم السلطان والسلطان متحرك
وحركة المتحرك الى المتحرك سفه.

ثانياً: هو الامن من الخوف وهل هناك اكثر من امن الراحل لأبي عبد الله وهو
يسير الليالي والايام الى كربلاء القرية المباركة التي بارك الله فيها وبمن سار اليها،
ومن سكنها فأنهم احرار في الدنيا وسعداء في الآخرة واما غيرهم فهو سعيد في الدنيا
ومطامحها ورياستها وهو عبدا لها ولشهوته واذهب طيباته في حياته الدنيا وماله في
الآخرة من نصيب. (رحيم، ٢٠١٥، ص ١١)

الثاني: الفعل الاجتماعي لزيارة الأربعين

تعد زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام من المراسم السائدة في المجتمعات الشيعية بوجه عام، وقد لقيت قبواً واسعاً لها بين أوساط الموالين لأهل البيت عليهم السلام لاسيما وان الكثير منها مروى عن الأئمة الأطهار بسند صحيح، ونظرة خاطفة لكتب الزيارات مثل كتاب «الزيارات» ابن قولويه وكتاب «المصباح» للكفعمي وغيره الكثير، كافية لتأييد ما أقول، ولا تخلو تلك الزيارات من كونها احتفالاً بميلاد أحد الأئمة الأطهار، كزيارة النصف من شعبان، وزيارة الثالث عشر من رجب، او تكون تلك الزيارة لإقامة العزاء بوفاة أحد الأئمة الأطهار، كما في زيارة عاشوراء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وزيارة الثامن والعشرين من صفر ذكرى وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وزيارة الأربعين فهي لتجديد الحزن والأسى بوفاة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وقد لعبت هذه الزيارة كغيرها من الزيارات دوراً رئيسياً في بناء المجتمع الموالي لأهل البيت عليهم السلام، فهي باعتبارها تجمعاً حاشداً لملايين المعزين تطرح نفسها كفعل اجتماعي لا يمكن تجاوزه، فهكذا تجمع لا يخلو من فوائد اجتماعية عدة منها:

١. الإحساس بآلام آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومواساتهم، وهذا ما يدفع الى فعل الزيارة تلك، وفي نفس الوقت يكون قد تسلح بطاقة عجيبة تدفعه للحنو على الآخرين ومساواتهم، وإبداء المساعدة لمن يحتاجها، ومشاركة الآخرين أحزانهم وأفراحهم على السواء، تأسيساً بآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا واضح ومعروف لكل من مارس تلك الزيارة واشترك في أداء شعائرها، وذهب للتبرك بأضرحة الأئمة المعصومين، ليرجع محملاً بفيوضات الحسين والأئمة من ولده عليه السلام، وفي قلبه وضميره تضحية الحسين عليه السلام بولده وعياله يحملها معه في حله وترحاله، ولسان حاله يقول: (لا تطلبوا المولى حسين بأرض شرق او بغرب ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده بقلبي)

٢. معونة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لقد منح الإمام الحسين عليه السلام بحق قيمة

ودرجة رفيعة لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاده اعتباراً وتقديراً، وهو ذلك الأصل الذي يعتبر فخر المسلمين وزينتهم وخيرهم، ولا غرور في ذلك فهو اللسان المعبر بقوة عن فحوى قول الله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾، كذلك فإن من زاره عارفاً بحقه، فقد أعان على الحق وجعله نبراساً له لا يحد عنه مبغضاً للباطل ومن تبعه، رافعا شعار الإسلام حينما يرفع راية بيده وهو يمشي صوب الحسين (عليه السلام) (طه، ٢٠١٧، ص ٢٣)

٣. استلهاهم معالم الدين الواضحة والمنهج الصحيح للتدوين: وذلك عن طريق استحضار منهج الإمام (عليه السلام) وأواده الأئمة الكرام (عليهم السلام) وإتباع طريقهم من خلال تدبر وتأمل ما ورد في سطور الزيارة الأربعينية حيث ورد فيها في الثناء على منهج الحسين (عليه السلام) « فأعذر في الدعاء، ومنح النصح، وبذل مهجته فيك، ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة».

٤. تؤدي الزيارة بصورة عامة، وزيارة الأربعين بصورة خاصة دور مؤتمر سنوي ديني وديني يجتمع فيه المسلمون كافة، ويتبادلون فيه الرأي والفكرة ويطرحون فيه - بأقل كلفة ومؤونة - قضاياهم لمعالجتها ودراستها، كما ان هذه المناسبات - وبالخصوص زيارة الأربعين - توجب استفادة الناس من مراكز التعليم الديني وحسن استخدامها، وكذلك حسن استخدامهم لوقتهم بدل قضاء ذلك الوقت في المقاهي ببطالة ودون عمل مثمر ومفيد، وانسى ان زيارة الأربعين قد اعتادت الملايين على أدائها مشياً على الأقدام وتحت كل قبل البدن على الجلد والصبر والأناة وهو مما ينعكس إيجابياً على الفرد في جميع جوانبه الحياتية، مضافاً الى أنها رياضة مفيدة للبدن، فان المشي من الرياضات التي يوصي بها الأطباء ويشهد بفائدتها كل من زاول تلك الرياضة، ولو أردنا أن نعدّد النشاطات الاجتماعية لزيارة الأربعين لوجدنا فيها الكثير الكثير من الفوائد والمميزات العظيمة، كل ذلك كرامة من الله تعالى لحبيب قلب رسوله الإمام الحسين سلام الله عليه. (المصدر نفسه، ص ٢١).

المبحث الثاني أهداف ومنهج التبليغ في زيارة الأربعين

ان النهضة الحسينية ذات وجوه عديدة، ولها عدة جوانب وأبعاد، ومن وجوه هذه النهضة وثمراتها تلك الزيارة العظيمة التي ما انفكت تتعاضد وتتعاظم وتكبر في عيون الشامتين قبل العاشقين، ومن الممكن جداً اعتبار تلك الزيارة عنصراً تبليغياً، فهي رسالة واضحة الى العالم، وطريق لإيصال رسالة الإسلام في العصر الحديث، حيث تحمل آلاف الرسائل والدعوات الموجهة الى آلاف المراكز والنواحي، ففي زمان التكنولوجيا والثورات الإعلامية المتواصلة، بدأت مشاهد الزيارة الأربعينية متلاثلة في التلفزيونات والقنوات العالمية، التي نقلت مشاهد مؤثرة تضع المشاهد من جميع أطراف المجتمع أمام تساؤل كبير، فما الذي يجعل هذه الجموع المليونية ترحف بهذا الإصرار نحو قبلة الأحرار والثائرين؟ فيأتي الجواب مدوياً انه الحسين عليه السلام وعظمة التضحية التي قدمها. ومن المعلوم أن هناك أربعة شروط لنجاح أي عملية تبليغية «والمفروض هنا ان زيارة الأربعين مطلب تبليغي» وهذه الشروط هي:

١. غنى واقتدار مضمون تلك العملية من جميع الجوانب، فان فظاعة فاجعة الطف حققت الأرضية الصالحة استثمارها لصالح المذهب الحق، وذلك برثاء سيد الشهداء عليه السلام واستذكاره في جميع المناسبات والزيارات ولا سيما زيارة الأربعين التي تحتفظ بوهج خاص للدي الموالين. وبعبارة أخرى ان رسالة الحسين عليه السلام تحتوي على قوة الجذب الكافية للعقل والقلب، وقدرتها على حل المشاكل، والقضايا المستعملة في الحياة ونحن لا نقول ان الزيارة الأربعينية. تقوم بهذه الأدوار والمهام لوحدها، مبتورة عن باقي الأجزاء المكتملة للنهضة الحسينية لكنها قطعاً جزء مهم من باقي أجزاء النهضة الحسينية، والتي هي بدورها تتوفر بها كل تلك المميزات قطعاً (مطهرى، ١٩٩٢، ص ٣١٢).

٢. حيازة الإمكانيات اللازمة، من وسائل وأدوات ووسائل الدعاية الحضارية، مع الأخذ بعين الاعتبار الشروط والظروف الاجتماعية المحيطة، وهذه النقطة قد يكون من السهل تحقيقها خاصة وأن الأموال التي تنفق في سبيل ذلك من الكثرة بحدّ يلفت النظر، وبالخصوص في أربعينية الإمام عليه السلام سواء أكانت تلك الأموال على شكل مشاريع ثابتة - كالحسينيات والأوقاف العامة ونحوها - أم نفقات مصروفة لسد الحاجيات المتجددة كالإطعام، والاستضافة ومكافآت الخطباء والذاكرين وغيرها (الحكيم، ٢٠١٠، ص ٤١٢).

٣. توفر الصلاحية الفنية والأخلاقية للمبلغ، ويمكن اعتبار الزائر هنا مطلقاً عنصراً تبليغياً فاعلاً ببدله من التحيل يل بتلك الصفات المذكورة.

٤. استخدام منهج التبليغ واستغلال الأدمغة المفكرة التي تجعل من تلك الشعيرة، عنصراً تبليغياً قادراً على إيصال الرسالة التي كان لأجلها خروج الإمام والتضحية بنفسه الزكية. ان زيارة الأربعين بوصفها عنصراً تبليغياً قد أسهمت إسهاماً كبيراً في نقل الصورة الايجابية عن أهل البيت عليهم السلام عن طريق تلك المسيرات المليونية وما يرافقها من ذكر مآثر أهل البيت عليهم السلام وتضحياتهم في سبيل نصرته الإسلام، بما يتناسب وفهم المخاطبين من أتباع بيت النبوة، وحتى غير الأتباع ممن يتعاطف مع نهضة الحسين عليه السلام وخلودها. لقد أثبتت الأيام السابقة ان زيارة بحجم زيارة الأربعين عصية على الاندثار لأنها تجسيد استمرارية منهج الإمام الحسين عليه السلام وأهداف ثورته، فلاغرو ان قلنا ان هذه الزيارة اخذت يتسع ويشع نور ثورتها الخلاقة، وهذا ما يدعوننا الى حث الجهات الرسمية والشعبية بكل فئاتها على اعتبار تلك المناسبة رمزاً صالحاً لتفعيل المنهج الرسالي وأهداف الحسين عليه السلام الخالدة التي هي اولاً واخيراً اهداف رسالة الإسلام بعينها. فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً (طه، ٢٠١٧، ص ٢٣).

المبحث الثالث الرضا والقاسم المشترك في زيارة الأربعين

يوجد جامع مشترك بين الناس مهما اختلفوا في الوانهم والستتهم وهوياتهم ومهما تباعدوا في الزمان والمكان الذي يعيشون فيه، وهو (الحب والبغض) او (الرضا والسخط) النابعان من فعل القلب، وهذا الجامع المشترك يؤدي الى اعتبارهم امة واحدة كما انه يؤدي الى اشتراكهم في جريان السنن الالهية عليهم، واشتراكهم في نتائج الاعمال الايجابية او السلبية على اعتبارهم اصبحوا جسماً واحداً اذا اشتكى منه عضواً تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى، ومن هنا ورد عن الامام علي عليه السلام انه قال (ايها الناس انما يجمع الناس الرضا والسخط، وانما عقر ناقه ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا) (المعتزلي، ١٩٦١، ٢٦١). وقال تعالى ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ (الشعراء: ١٥٧).

وعنه عليه السلام: (الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل اثم انتم العمل به والرضا به) كما يشترك الناس في العقاب لرضاهم بالحرام، كذلك يشتركون في الثواب وحسن الجزاء لرضاهم به حتى ولو كان بينه وبين القائمين به فاصلة الزمان والمكان، عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: (من شهد امرأ فكرهه كان كمن غاب ومن غاب عن امر فرضيه كان كمن شهدته)، وفي زيارة أربعينية سيد الشهداء وأبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، وبالرغم من أن تجمع أكثر من أربعة عشر مليون إنسان في مدينة صغيرة (كربلاء المقدسة) لإحياء مناسبة ما يشكل حدثاً فريداً، حيث ليس لمثل هذا الحشد البشري العظيم من مثل في العالم، لكن هناك مميزات أخرى للحدث الكربلائي جعلت زيارة أربعينية سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام

حدثاً أكثر فزادة وأكثر إبهاراً، فلم يذكر تاريخ الأزمان الغابرة والحاضرة أن حب أتباع لإمامهم أو قائدهم دفعهم لأن يقطعوا مئات الكيلومترات سيراً على الأقدام مستصحين معهم الأهل والعيال لزيارة ضريح (إمامهم المقتول)، فيتركون تجارتهم، ويتقنون على علل أجسادهم، ويغالبون همومهم، ويصارعون الحر القارض والبرد القارص والعواصف والأمطار، ويبدلون الأموال والأرواح غير مبالين لسيوف قطعان القتل والتكفير، وغدرهم الأسود، وسياراتهم المفخخة، وغزواتهم المتوحشة الدامية. والذي يدهش أيضاً في ذلك المشهد الأربعيني في مدينة كربلاء المقدسة اندفاع المحبين الزائرين للبدل والإيثار والعطاء بينما يملكهم شعور جارف بأنهم لم يقدموا شيئاً لـ (إمامهم المظلوم) الذي قدم لهم كل شيء.

عام بعد عام وأربعينية بعد أربعينية تؤكد الوقائع أن الحسين (عليه السلام) هو الطريق الأوفى الذي به يستكمل بنو البشر إنسانيتهم، وأن الحسين (عليه السلام) هو السبيل الأوثق الذي به يلتقي الناس على مائدة العدل والحرية والمحبة والسلام والرفاه، وأن الحسين (عليه السلام) هو الوسيلة الأبهى التي عبرها تتوحد جهود المسلمين وطاقتهم، ليتعاونوا على البر والتقوى من أجل خير أنفسهم ومجتمعاتهم وأوطانهم والإنسانية جمعاء، الأمر الذي يستوجب على الجميع مسؤولية إيصال (قيم كربلاء) بأهم لغات الشعوب الى أقصى بقاع العالم (رحيم، ٢٠١٥، ص ١١).

المبحث الرابع

دور زيارة الأربعين في تبليغ مظلومية أهل البيت عليهم السلام

ان زيارة الأربعين بتجمهرها المليونى كانت ولا زالت تظاهرة حسينية فاضحة للزيف والتزييف الذي غطى على مساحات واسعة من فكر الجمهور المسلم المتعطش لمعرفة الحقائق كما هي، حتى أضحى ذلك الجمهور لا يُفرِّق بين الشعارات الصادقة وتلك الكاذبة التي لا تمتلك مقومات البقاء، الأمر الذي يسبب الفتنة فعلا أو يشعلها، ومن ثم يحجب الرؤية الواضحة عن النفوس البريئة التي تتأثر بالشعار ولا تغوص في أعماق الأمور، من هنا جاءت زيارة الأربعين لتمثل انتصار الشعار الصادق على رهافة السيف الظالم، ولتخلق روح التوافق والالتحام، فان اجتماع مجموعة من الناس واتحادهم في عمل ما بدافع العقيدة سيولد لا محالة وشائج وثيقة بين الأفراد ويعزز العلاقات الاجتماعية بينهم لاسيما وان العامل المشترك بين الجميع هو عمل عبادي يبغى من ورائه نيل الثواب وهذا ما ينطبق تماماً على مراسم زيارة الأربعين ونشاط مواكبها، مضافاً الا أنها دعوة صادقة للسلام يرتفع نداؤها ليغطي على طبول الظلم الزائفة، ان زيارة الأربعين هي تجسيد لقتل الظلمة والطغاة بلا قتال، وقد اثار ذلك حفيظة الظالمين، فجدّوا في منع الموالين من احياء تلك الشعيرة، والتنكيل بهم، والتشنيع عليهم بمختلف الأساليب، من هنا كانت زيارة الأربعين عملاً إعلامياً ضخماً، وتبليغياً بالغ الصعوبة والتعقيد لكنها في الوقت نفسه تكشف المعالم الحقيقية للدين، فهي تجعل من الإنسان مادة للرسالة ذلك الإنسان المجرد من كل الأسلحة الا سلاح الولاء واحترام الذات، فهو في زيارة الأربعين كائن مقدس يمشي نحو قبلة الطهر والقداسة لا يتعدى حدوده، يمشي على سكينه ووقار عالماً بحرمة الدماء وقيادتها، كما قرر الإسلام ذلك، فالله تعالى يقول ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا

بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴿المائدة: ٣٢﴾ كما أكدت عليه الروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت، نذكر من ذلك: -

١. عن أبي ذر عن النبي ﷺ في وصية له قال: «يا ابا ذر سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، واكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه .
٢. عن أبي بصير عن ابي جعفر، قال: قال رسول الله ﷺ «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية لله، وحرمة ماله كحرمة دمه.

لقد استوعبت زيارة الأربعين كل تلك المعاني والإشارات، وعمقت عشق ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) في قلوب وضمائر الناس باعتباره ما خرج الا لطلب الإصلاح في أمة جده ﷺ أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وهذا هو هدف الإمام في خروجه، اذ قال (عليه السلام): «اني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي محمد ﷺ أمر بالمعروف وانهى عن المنكر» وهذا ما ينبغي ان يكون شعارا لزيارة الأربعين على مدى الدهر. لقد كانت تلك الزيارة العظيمة سباقة في رفع راية اهل البيت (عليهم السلام) وإسماع دعوتهم لغيرهم، لأن تميزهم بإحياء تلك المناسبة ومواظبتهم على رفع شعائر الحب والولاء فيها، وتأكيدهم على ظلامة أهل البيت (عليهم السلام) واستثارتهم للعواطف بمناسبة ذلك يلفت أنظار الآخرين إليهم، ويحملهم على الاحتكاك بهم، والتعرف على ما عندهم، ولا سيما ان احياء هذه المناسبة يكون غالبا بنحو مثير وملفت للنظر، يساعد على ذلك كله تأييد الله تعالى لهذه الطائفة المنصورة، فها نحن نرى هذه الايام اثر هذه الزيارة وغيرها في الفات نظر العالم وتوجيه وسائل الإعلام المختلفة نحو فاجعة الطف في مواسمها المشهودة، لينظر العالم بعينه مدى استماتة الموالين في احياء تلك المناسبة وغيرها مضحين بالغالي

والنفيس في سبيل إحيائها، غير مكترثين بالمخاطر والظروف التي قد تكون غير مهيأة لتلك الشعائر» وذلك يفسر ما رواه معاوية بن وهب من دعاء الإمام الصادق (عليه السلام)، لزوار الإمام الحسين (عليه السلام) لعلمه بتلك الظروف التي قد يكون فيها مخاطر جمّة على الموالين - حيث قال «اللهم ان أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، خلافا منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تتقلب على حفرة ابي عبد الله (عليه السلام)، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا (رحيم، ٢٠١٥، ص ١١).

المبحث الخامس

استحباب زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ماشياً.

دأب محبو أهل البيت (عليهم السلام) على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) مشياً على الأقدام ومن كل فج عميق، وذلك في اليوم العشرين من صفر - أي بعد اربعين يوماً من مقتل الإمام (عليه السلام) ولهم في ذلك غايات يفهمها الا من تذوق رحيق الموالاة، وتربى على غذاء التضحية الذي لا يقدم الا في موائد آل البيت العامرة بالتقوى وخوف الله تعالى في السر لو العلانية، ومن هذه الغايات :

١. تجديد الواء للإمام الحسين (عليه السلام) وخطه الثوري ويأخذ هذا الولاء شكلاً استثنائياً يتمثل بتأدية الزيارة مشياً على الأقدام ومن لمناطق بعيدة جداً.
٢. تدريب النفوس المشتاقة لرؤيا الحسين (عليه السلام) على الأناة والصبر في التعامل مع الأمور، فالسير لأيام عديدة وفي أماكن نائية خالية من العمران يعتبر تجربة لا يمكن إلغاء تأثيراتها الروحية بحال من الأحوال.

٣. إرسال رسالة واضحة لمن لا يفهم علاقة الموالين لأهل البيت عليهم السلام بأئمتهم، بأن تلك العلاقة هي علاقة غير طبيعية، تذوب عندها المسافات وترتفع حجب المسافات، فلا فرق بين الوصول واللاوصول، فهي علاقة أثرية خارج نطاق الزمان والمكان.

٤. التأسي والافتداء بمسير سبايا الإمام الحسين عليه السلام حين رجعوا من الشام الى المدينة، فكأن المحبين يقولون «إن كنتم يا عيال الحسين قاسيتم حر المهجير، ووعثاء السفر، فان محبيكم مسافرون على مدى التاريخ، ومواسون لكم في كل سنة تمر، حاملين على أكتافنا شدو الخلود ونشيد التضحية.

ولقد حثت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام على تجديد هذه الزيارة وغيرها مشياً على الاقدام، متقرين بتلك الشعيرة الى الله، ومن لهذه الروايات :

١. ما روي عن الحسين عليه السلام بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال ابو عبد الله « يا حسين، من خرج من منزله يريد زيارة الحسين عليه السلام، ان كان ماشياً كتبه اهل بكل خطوة حسنة وحط بها عنه سيئة حتى اذا صار بالحائر كتبه اهل من المفلحين (الملايري، ١٤٢٢هـ، ص ٤٣١).

٢. روي عن ابي عبد الله عليه السلام قال: يا علي زر الحسين عليه السلام ولا تدعه، قلت: ما لمن زاره من الثواب؟ قال: من آتاه ماشياً كتب اهل له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة، وترفع له درجة (العالمي، ١٣٧٢، ص ٣٤٢).

٣. روي عن ابي سعيد القاسمي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في غرفة له فسمعتة يقول: «من أتى قبر الحسين ماشياً كتب اهل له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل (المصدر نفسه).

وقد يقول قائل: هذه الأحاديث عامة وليس فيها تقييد بزيارة الأربعين، ونحن نقول: نعم، فنحن لا نقيّد استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً بالزيارة الاربعينية، ولكن فلسفة الزيارة مشياً وحققتها تتجلى في خصوص زيارة الأربعين،

لأنها تجديد لحادثة عاشوراء وتكريس استمرارية الحزن والأسى بمصائب أبي عبد الله عليه السلام، ذلك المصائب الذي يملأ القلوب همماً وشقاءً لا ينتهي، فزيارة الأربعين هي أول زيارة بعد عاشوراء، فاستحقت ان تكون بعظمة وخلود عاشوراء، ولا يتأتى الخلود بزيارة خاطفة يزول أثرها بعد أيام قلائل، بل لابد من تظاهرة تجتري الحزن. ويفيض منها التقوى والخشوع، ليذكر بأيام الله تعالى التي أحيانا إمامنا بتضحية رائعة لا يفعلها الا الصديقون، فهنيئاً لمن مشى في دروب الصالحين، وخطا تلك الخطوات العظيمة في طريق يغمره الباري برحمته وبركاته، فالكل ينادي بصوت واحد تحفظه رمال البرية وحجر الدروب

الخاتمة

لقد حققت اربعينية الإمام الحسين عليه السلام هدفها على أكمل وجه، حيث صارت الفاجعة - بأبعادها المتقدمة - صرخة مدوية هزت ضمير الأمة، ونبهتها من غفلتها، وأشعرتها بالخيبة والخسران لخذلان الحق ودعم الباطل، وبالهوة السحيقة بين المجتمع الذي تعيشه والواقع الديني الذي اراد الله عز وجل منها ان تكون عليه. ومن آثار فاجعة الطف وإفرازاتها العظيمة، تلك الزيارات التي قررها وشيّد أركانها الأئمة الأطهار، لتظل رابطاً وثيقاً بين الموالين والأتباع الخلّص لأهل البيت عليهم السلام وأئمتهم الكرام الذين هم مادة الرسالة ومعدن الدين، الذين طهرهم الله بقوله (إنما يُريدُ اللهُ لِيُذِهبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيراً) (ومن تلك الزيارات الخالدة هي زيارة الأربعين، التي ذاع صيتها وطار بين الناس، وحث عليها الأئمة الكرام، واعتبرها الإمام العسكري عليه السلام من علامات المؤمن، ولها من الاثار الروحانية والبركات الدنيوية ما سارت به الركبان، فعلى المؤمنين الأخيار المحافظة على تلك

الشعيرة الرائعة التي توحد المسلمين وتنظف قلوبهم من أدران الطائفية والأحقاد الجاهلية، فهي حج آخر بها هي زيارة للحسين عليه السلام وقد ورد في الأثر ان زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعدل حجة وعمرة، ففي حديث طويل لسدير: قال ابو عبد الله: عليه السلام يا سدير وما عليك أن تزور قبر الحسين عليه السلام في كل جمعة خمس مرات وفي كل يوم مرة. قلت جعلت فداك ان بيننا وبينه فراسخ كثيرة، فقال: تصعد فوق سطحك ثم تلتفت يمنا ويسرة، ثم ترفع رأسك الى السماء، ثم تتحرى نحو قبر الحسين عليه السلام، ثم تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك ورحمة الله وبركاته، يكتب لك زورة، والزورة حجة وعمرة قال سدير: فربما فعلته في النهار أكثر من عشرين مرة. فكيف بمن أدمى رجله وعلاه التراب وهو يرنو لقبه الحسين عليه السلام ولبركات الحسين عليه السلام، نسأل الله الأجر والعافية وقبول الدعاء والزيارة لكل من زار الإمام الحسين عليه السلام من قرب ومن بعد، ووفقنا الله تعالى وإياكم لإتباع الحسين عليه السلام ونهجه انه هو السميع العليم.

المصادر

القرآن الكريم

١. ابن ابي الحديد المعتزلي. (١٩٦١، ٢٦١). شرح نهج البلاغة، ج ١٠. دار احياء الكتب العربية.
٢. الشيخ اسماعيل المعزي الملايري. (١٤٢٢هـ، ص ٤٣١). جامع احاديث الشيعة، ج ١٢. قم المقدسة: المهر.
٣. الشيخ رحيم. (٢٠١٥، ص ١١). قطف ثمار الوجدانية في الزيارة الاربعينية. العراق: دار المعرفة.

٤. الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي. (١٣٧٢، ص ٣٤٢). وسائل الشيعة، ج ١٠. قم المقدسة: مؤسسة آل البيت لأحياء التراث.
٥. الشيخ هادي طه. (٢٠١٧، ص ٢٣). خطوات المتقين في ثمار زيارة الأربعين. العراق: وحدة الدراسات والنشرات.
٦. (الشيخ هادي طه).
٧. (الشيخ هادي طه، ص ٢١).
٨. (سورة فاطر: ٢٩).
٩. (سورة الانفال: ٣٣).
١٠. (سورة الشعراء: ١٥٧).
١١. (سورة المائدة: ٣٢).
١٢. (سورة النحل: ٩٦).
١٣. (سورة قريش: ١-٤).
١٤. محمد سعيد الحكيم. (٢٠١٠، ص ٤١٢). فاجعة الطف ابعادها ثمراتها توقيتها، العراق.
١٥. مرتضى مطهري. (١٩٩٢، ص ٣١٢). الملحمة الحسينية. بيروت، ج ٣، طبعة ٢: الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.